كلمة السيدة مديحة العنبري
قرينة الفقيد

سيادةَ وزير التعليم العالي الدكتور غياث بركات
السادةُ أعضاء القيادتين القومية والقطرية
السادة الوزراء
السادة السفراء
السادة رؤساء الجامعات
السيد نائب رئيس مجمع اللغة العربية

أيها الحفل الكريم

إنه من تمام الواجب أن أبدأ فأقدِّم أصدق الشكر وأخلصه وأتمه باسمي واسم جميع أفراد أسرتنا إلى سيادة رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد، وإلى سيادة عقيلة رئيس الجمهورية السيدة أسماء الأسد على الدعم والمساندة التي أسدوها إلينا في مصابنا الجلل. وكذلك إلى سيادة نائب رئيس الجمهورية الدكتور فاروق الشرع، وسيادة نائب رئيس الجمهورية الدكتورة نجاح العطار.

وإلى سيادة رئيس مجلس الوزراء والسادة الوزراء وكبار المسؤولين في الدولة، وأخص بالشكر الدكتور غسان اللحام وزير رئاسة الجمهورية والدكتور رياض نعسان آغا وزير الثقافة والدكتورة بثينة شعبان مستشارة سيادة رئيس الجمهورية للشؤون السياسية والإعلامية، والدكتور بشر الصبان محافظ دمشق.

وأوجه الشكر الخالص إلى سيادة وزير التعليم العالي الدكتور غياث بركات على وقوفه إلى جانبنا في محنتنا، وكذلك فلسيادته ولجامعة دمشق ولكلية الآداب فيها كل الشكر على قرارهم بإطلاق اسم الدكتور شاكر الفحام على المدرج الأول في كلية الآداب.

وأشكر مكتبة الأسد ممثلةً بمديرها العام الدكتور علي العائدي. وأود أن أذكر هنا أن مكتبة الدكتور شاكر الفحام الخاصة قد قُدمت هديةً إلى مكتبة الأسد ليضمها هذا الصرح الثقافي العظيم الذي طالما وقف فيه محاضرًا في مناسبات عديدة.

ولا يفوتني هنا أن أشكر جميع الأهل والأصدقاء في سورية والعالم العربي وفي أنحاء العالم أجمع على مشاعرهم الطيبة وجميل تعزيتهم لنا.

وأشكر جميع الحضور على تلطفهم بمشاركتنا اليوم في حفل التأبين هذا.

وأنهي بأن أقدم أجمل الشكر إلى كل من تفضل بالتحدث قبلي على كلماتهم الطيبة التي تسدي إلينا أجمل العزاء.

* * *

أيها الحفل الكريم

هل هوى حقًّا ذلك الطود الشامخ؟!

وهل أقف اليوم حقًّا في حفل تأبينك يا شاكر، وهل حقًّا أنك رحلت عن دنيانا وأنك لن تعود، وأننا لن نتابع بعد اليوم طريقنا معًا يدًا بيد وخطوة بخطوة.

ما عهدتك تغيبُ عني، وإنك لن تغيب، فإن غاب عني منك الجسد فإنك في قلبي وروحي وكل ذرةٍ في كياني، ويزداد وجودك فيَّ إن كان من زيادة، فإن افترق الجسدان فالروحان متحدتان.

لقد التقت روحانا واتحدتا يوم التقينا، يوم عرفتك فعرفت أنني أمام إنسانٍ كبير على تواضعه الجم، نسيجِ وَحْدِهِ في صدقه، في إيمانه، في أفكاره، في المثل العليا التي يجسدها وفي القيم الرفيعة التي يعيشها، وفي مشاعره وعواطفه الصادقة التي لا يخالطها الزيف.

مثلك لا يموت يا شاكر، وهل يموت الخير والعطاء من الدنيا؟

أتساءل كيف استطاع قلبك أن يتسع لكل هذا القدر من الحب؟

وكيف يسَّرَ الله لك أن تقوى على كل هذا الغنى وكل هذه الوفرة في العطاء على مدى العمر؛ كانت سعادتك في العطاء، وكانت لك قدرة خارقة على بذله بلا مَنٍّ ولا أذى.

* * *

هل أقف أمامكم اليوم لأرثيه أو أُؤبنه أو أصف مآثره؟ ومن يقوى أن يحيط بها؟

لم يكن في قلبه ونفسه وروحه إلا الإحسان والعطاء، لا أدري كيف منَّ الله فنزَّهه عن كل عرض الدنيا، لا أدري كيف باعد بينه وبين كل أخطاء وخطايا وشرور البشر، لم يحمل يومًا كرهًا ولا بغضًا ولا ضغينةً لإنسان، ولو كان قد لقي منه كلَّ الأذى، كان أرفعَ وأعلى من أن يقابل الإساءة بالإساءة.

كان رقيقًا كنسمة الربيع وقويًّا كأصلب الرجال، واضح الرأي والرؤية، يمتح من قلب صادق مؤمن ومن فكر ناضج متميز، إيمانه ثابت وفكره متجدد لم يجمد يومًا، ظامئٌ دومًا إلى المعرفة وإلى الاستزادة منها، يسعد بالتعرف بكل جديد جيد مستحدث.

* * *

كان مؤمنًا بالوطن العربي وبالأمة العربية والإسلامية، وبتاريخ هذه الأمة وتراثها المجيد، مقتنعًا بضرورة الإخلاص في العمل وحتمية النضال لاستعادة مجدها ورفعتها ومكانتها، وكان إيمانه الثابت بإمكان ذلك يجعله دائمًا متفائلاً بمستقبل الأمة، حريصًا على بذل الجهود لخدمتها والذود عن حياضها، وبذل الغالي بله الرخيص في سبيلها.

* * *

كان يرى في العلم وتحديثه وتطوير أساليب الدراسة وبناء ركيزة ثابتة للبحث العلمي، السبيلَ الأكيد لبناء الأجيال المقبلة وللارتقاء بمستقبل الأمة، وكان ديدنه حث الطلاب وتشجيعهم على المزيد من الجد والدراسة وتحصيل الدرجات العلمية.

* * *

أما اللغة العربية فهي لديه حاملةُ تراث الأمة وتاريخها وأمجادها، وهي كذلك هويةُ الأمة وكيانُها وشرفُها، كان إيمانه بها مطلقًا لا ترقى إليه شائبة.

* * *

قضى عمره كله في خدمة الشأن العام بإخلاص وتفانٍ وشعورٍ عالٍ بالواجب، وبإنكار تام للذات، لم يسعَ يومًا إلى منصبٍ على عظم المناصب الحكومية والعلمية التي تسنَّمها والجوائز والدرجات التكريمية التي مُنحها، ولم يكن يرى يومًا في أيٍّ منها مغنمًا يفيد منه، وإنما كانت مسؤوليةً وواجبًا يمكنّه من أداء خدمة الوطن.

* * *

أَيْ شاكر

لقد تحدث الأصدقاء والناس عنك الكثير، تحدثوا عما عرفوا فيك وعنك، وقد رأوا وخبروا من عملك وصحبتك وإنجازاتك وأخلاقك الكثير، ولكنني أعرف الأكثر:

لقد كنت ذاك الذي مرَّ في هذه الدنيا كسحابة خير عميم، فلم تقوَ على تدنيسه أو صرفه عن أن يظل مترفعًا متبتلاً في محراب الحق والواجب، منافحًا مناضلاً عن الفضائل كما كان الأنبياء.

وكأني بالمتنبي قد عناك يوم قال:

مضت الدهور وما أتينَ بمثله ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

* * *

أتلفَّت حولي فلا أسمع عنك إلا الثناء وما كان ذاك ليكون إلا لأنك قد قدَّمت بصدقٍ وإخلاص وتفانٍ دون أن تطلب يومًا شيئًا لنفسك.

وإذا كان من مبغض أو حاسد لك فما ذاك لوفرة مالٍ جمعته، فإنك لم تفكر يومًا بجمع المال، ولا لجاهٍ حصلت عليه فذاك كان آخر ما تسعى إليه، ولكنه لنبل أخلاقك ورفعة مراميك التي يشق عليهم التحلي بها.

* * *

لم تمت يا شاكر، ولو قضت مشيئة الله أن تغادرنا إلى جواره فإنك في روحي وكياني، وفي قلب وخَلد كل واحد من أولادك رشا وبشار وديمة ومالك وسالم الذين أحببتهم فوق ما يمكن أن يكون الحب، وامتد حبك منهم إلى أولادهم وإلى جميع أفراد أسرهم.

كنت تقول إنه مع مولد كل طفلٍ جديد يتفجر في القلب حبٌ جديد كبير ويعود ليشملَ كل الأولاد قبله، ويعلمنا كيف نسعد بحبِ أطفالنا؛ أحببتهم أطفالاً ورعيتهم ودعمتهم يافعين وكبارًا، كنت دائمًا لهم المثل والقدوة والسند الراسخ الذي إليه يلجؤون وعنه يأخذون؛ وكَبر الأولاد والأحفاد وأنت لهم دائمًا المثل والدافع إلى مزيد من الإنجاز في حياتهم العلمية والعملية، وإلى الحفاظ على المثل والقيم التي غرستها فيهم؛ وكان لك منهم كلُّ ما تمنيت.

فأدخلوا من جديد إلى قلبك الرضا والسعادة والفخر بما أنجزوا وحققوا، مع تطلعك دائمًا منهم إلى المتابعة والمزيد.

* * *

لقد كان خير أب وخير زوج وخير صديق وخير من عرفت على وجه الدنيا.

قدَّم لي الحب الكبير الذي لا ينضب والذي ظل معينه يتجدد على الأيام حتى آخرها، وكان لي منه التقدير والاحترام وحسن الصحبة، والرقة والحدب والرقي في التعامل.

وكان له مني مثل الذي قدمه ويزيد، وقد كان أهلاً لذاك.

لم ينسَ مرة في عيد زواجنا أو عيد ميلادي على مر السنين أن يقدم لي مع ما يهديه إلي كلمةً هي أعز وأجمل وأروع عندي من أي شيء يهدى.

كانت رسائله إلي في الأوقات القليلة التي كان أحدنا يسافر فيها ويبتعد عن الآخر قطعًا أدبية عزَّ نظيرها، تحمل أرقى الأفكار والمشاعر تفيض بها نفسه.

كانت صحبتنا في السفر والحضر متعة أية متعة.

* * *

أفتقدك يا شاكر، أفتقد حبك الكبير، أفتقد صحبتك، أفتقد أحاديثنا الجميلة، ونقاشاتنا الطويلة في كل شأن من شؤون الوطن والأمة والعلم واللغة التي كانت كلُّها، وهمُّ الرفع من شأنها، همَّك الأكبر.

كيف جمعنا الله؟....

لقد فعل ذلك في ساعة رضًا منه ... غفل عنها الزمان.

* * *

فسقى ديارك غير مفسدها صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

* * *

رحمك الله يا شاكر الرحمة الواسعة، وأجزل ثوابك عنا وعن كل ما قدَّمت، وجعلك مع الأنبياء والصديقين وحسن أولئك رفيقًا.